

السؤال

أنا سيدة مسيحية ، ولاتقولوا إن المسيحيين كفار لأنني أنا أحس نفسي أفضل من آلاف من المسلمين الذين يتنصبون بالدين الإسلامي ويعلقون أغلب أغلاطهم ومتحججين بالدين ! علماً أن زوجي مسلم ولي أربعة أولاد مسلمين رببتهم على الفضيلة وخوف رب العالمين منهم بنتان شابتان ومحبتان ، ولي ولدان أصغر منهما أتيقيا يحترمون كل الشعائر والطقوس الدينية للمسلم والمسيحي ! علماً أن لي زوجاً لا يخاف الله ، يسب ويشتم كل الأنبياء والأديان ، عيشتي معه جحيم ، له زوجة - ابنة خالته - تعمل السحر ، وخربت بيتي ، وتؤمن بالشر والتعويزه ، وتُهجم على بيتي بسببها ، وليس عندها ذرية ، تشبهه في جميع النواحي : من الكذب والرياء ، منافقة وتدعي بالدين لكن لا تملك أي نقطة في بحر الدين من مودة ورحمة ، جاءت إلى أوروبا ، أمرها أن تنزع الحجاب لغرض أن يدخلها على الملاهي والأماكن الجنسية ، كرهتها وكرهت كل مسلم متلون ، الآن أنا في مشاكل مع زوجي باستمرار ، ورمى عليّ يمين الطلاق ، وهو لا يريدني ، لكن أريد أن يحررني ، فهو محتفظ بي لغرض الخدمة وتربية أطفالي . السؤال هو : 20 مرة رمى يمين الطلاق عليّ هل أنا محرمة عليه ؟ وهو مقاطعني فترة 5 أشهر ، بعيد عني بالفراش والمأكل والمعيشة ، ماذا أفعل ؟ أغيثوني الله يرضى عليكم ، علماً أنني على ديني ، وهو على مذهب الحنفي ! .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

نحن نقدر ما تعانيين منه من ذلك الزوج الظالم لك المقصر في أداء حقوقه تجاهك ، وفي الوقت نفسه نود تنبيهك على بعض التنبيهات - وفيها الإجابة على أسئلتك - :

1. قولك لنا " لا تقولوا إن المسيحيين كفار " : هذا أمره ليس لنا ، ولسنا نحن الذين كُفّرنا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة ، بل الله تعالى هو الذي حكم بكفر أولئك ، وهو الذي أخبر بأنه لا يقبل غير الإسلام ديناً بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه رسول إلى أهل الأرض جميعاً ، قال تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) آل عمران/ 85 ، وقال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) المائدة/ 73 - 75 .

واعذرنا - يا أمة الله - إذا كنا قلنا كلاماً لا تحبين سماعه ، ونؤكد لك أنه لم يكن من شأننا وأنت تسألينا وتبين لنا شكواك أن نقول لك : إنك كافرة ، أو غير ذلك ؛ فإن هذا لا علاقة له بالحكم بين الخصوم ، ولا بيان حكم الله فيما سألت عنه ؛ قال الله

تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) المائدة/8 .

2. نحن لا ننكر أن يوجد من غير المسلمين من هو أحسن خلفاً من كثير المسلمين ، لكن لن يكون خيراً منهم ديناً ! ونحن كما ندعو المسلمين أصحاب الظلم والشرور أن يحسنوا أخلاقهم لينفذوا ما أمرهم الله تعالى به : ندعو كذلك أصحاب الأخلاق الحسنة أن يكملوا ذلك بتحسين دينهم .

واعلمي أن أصحاب الأخلاق الجميلة من أولئك الناس غير المسلمين للأسف لم تكن أخلاقهم كذلك مع رب الناس ! لأنهم يسئون الله تعالى في الحقيقة حينما يدعون له الولد ! أو أنه ثمة إله معه تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، فمن قال إن عيسى هو الله أو ابن الله فهو ساب وشاتم لله تعالى أعظم السب والشتم ، وماذا تنفعه أخلاقه الجميلة مع الخلق في الوقت الذي يسيء إلى رب الخلق جميعاً ؟!

لذا فإننا ندعوك - صادقين - أن تعيدي النظر في عقيدتك وأن تعلني التوحيد والشهادة لله تعالى وحده بأنه الرب الإله لا إله ولا رب سواه ، والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، وبذلك تكونين جمعت بين الخيرين .

3. ما تعانيين منه من ظلم زوجك له ليس لأنه مسلم ! لأن الإسلام يأمر المسلمين بإحسان العشرة لزوجاتهم ، وليس لأنك غير مسلمة لأن الإسلام لم يفرق في ذلك الإحسان الواجب في عشرة الزوجة بين المسلمة والكتابية ، بل لعل الإحسان للكتابية أن يكون الحث عليه أولى ؛ لبيان أخلاق الإسلام لهنّ فلعلّ الله تعالى أن ينقذها من النار بسببه .

فما تعانيين منه إنما سببه بعد زوجك عن دينه ، فالرجل متى كان متمسكاً بدينه ، حسنت أخلاقه وأعطى كل ذي حقّ حقه ، فليته كان مطبقاً لإسلامه إذن لرأيت ما يسرك من حسن المعاملة ومن الرحمة والمودة .

4. ما تعانيين منه من زوجك من ظلم وبؤس تعاني منه زوجات مسلمات أيضاً من أزواجهن المسلمين! وتعاني منه زوجات نصرانيات ، أو من أية ملة كُنّ ، من أزواج يوافقونهن في نفس الدين ؛ فالقضية إذا ليست في أن أخلاق المسلمين هكذا ، ولا في أن الإسلام يقبل مثل ذلك الظلم والعدوان ، بل هي في الخلل في إسلام ذلك الشخص ، والتزامه بدينه ، وربما كان ذلك الخلل ضاربا بجذوره عند الرجل ، حتى كان خلافاً في أصل إيمانه ، نسأل الله العافية .

5. إذا ثبت سب زوجك للأنبياء وسبّه لدين الإسلام : فهو مرتد ، وهذا الذي قلناه لك من أن كثيراً من الناس يكون الخلل في أصل إيمانه ، ودخوله في نطاق المسلمين ، نسأل الله السلامة ؛ وحينئذ يكون نكاحه مفسوخا ، بغض النظر عن أيمان الطلاق التي أوقعها عليك ؛ فإن وقوعه في الردة يوجب فسخ نكاحه ، سواء كانت زوجته مسلمة أو كتابية ، وليقرأ ما قاله علماء الحنفية الذين ينتسب لمذهبهم كذباً وزوراً .

قال الإمام السرخسي الحنفي رحمه الله :

" وإذا ارتدّ المسلم : بانّت منه امرأته ، مسلمة كانت أو كتابية ، دخل بها أو لم يدخل بها ، عندنا " انتهى من "المبسوط" (5/49)

ولا يحتاج هذا الحكم - في الأصل - لقضاء ، وتستحقين مهرِك كاملاً .

وفي " الموسوعة الفقهية " (22 / 198) :

" قال الحنفية : إذا ارتد أحد الزوجين المسلمين : بانته منه امرأته ، مسلمة كانت أو كتابية ، دخل بها أو لم يدخل ؛ لأن الردة تنافي النكاح ، ويكون ذلك فسخاً عاجلاً لا طلاقاً ، ولا يتوقف على قضاء .
 وإن كان - أي : الردة - بعد الدخول : فلها المهر كله " انتهى مختصراً .

6. وأما إذا كان الحال كما ذكرت من أنه طلقك عشرين مرة ، فهذا دليل آخر على أن هذا الرجل لا يبالي بدينه شيئاً ، ولا حرمة لأحكام إسلامه عنده ، فقد كان يكفيه ثلاث مرات ، لتكوني محرمة عليه ، وبقاؤك معه بعد ذلك ، بل قبل ذلك ، بمجرد رده ، أو طلاقه لك ثلاثاً ، محرم عليكما ، فعليك تخليص نفسك بما تستطيعه من طرق ، إما برفع أمره لقاض شرعي ، أو مركز إسلامي ، أو غير ذلك من الهيئات الإسلامية ، فإن لم يتيسر ذلك فافعلي ذلك أمام المحاكم القانونية .
 والمهم أن تعلمي أن الإسلام ليس هو السبب في سوء معاملته لك ، وأن الإسلام قد أنصفك ، وها هو يحكم عليه بالردة ، ويوجب فسخ نكاحك ويفك قيدك ، وها هو يوجب عليه المهر كاملاً يدفعه لك .
 وتأملي - يا أمة الله - هذا الموقف الذي ناقصه عليك :

لقد كان بين نبي الله صلى الله عليه وسلم ويهود خيبر معاملة ، يحق له - بموجبها - نصف غلة الزرع وما يخرج من أرض خيبر ؛ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - يَأْتِيهِمْ فِي كُلِّ عَامٍ فَيَخْرُسُهَا عَلَيْهِمْ - يعني : يقدر كمية الزرع والثمار التي تحصلت لهم - ثُمَّ يُضَمِّنُهُمُ الشَّطْرَ - يعني : يلزمهم ، ويحكم عليهم به - فَشَكَّوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي عَامِ شِدَّةِ خَرْصِهِ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ !!

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ ؛ تُطْعِمُونِي السُّحْتَةَ ؟! وَلَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ - يعني : النبي صلى الله عليه وسلم - ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقَرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ؛ وَلَا يَحْمِلُنِي بَعْضِي إِيَّاكُمْ ، وَحَبِي إِيَّاهُ ، عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ !!

فَقَالُوا : بِهِذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ !!

رواه ابن حبان (11/607) والبيهقي (6/114) وإسناده صحيح .

نسأل الله أن يهدي قلبك لما يحبه ويرضاه ، ويشرح صدرك بنور الإسلام ، ويفرج كربك ، ويذهب عنك الأذى .

والله أعلم